

إذا صحت النية حصل الثواب الجزيل على النيتين جميعاً ، لأن الأعمال بالنيات .
 فانه ثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ما من أهل ولا مال ولا ولد
 الا وأنا أحب أن أقول عليه : انا لله وانا اليه راجعون ، الا عبد الله بن عمر فاقى
 أحب أن يبقى في الناس . يؤيد ذلك ما ثبت في صحيح مسلم ان النبي ﷺ قال
 « إذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث ، من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ،
 أو ولد صالح يدعو له » وفي حديث أنس مرفوعاً : « سبع يجرى أجرها للعبد بعد
 موته ، فذكر منها أترك ولداً يستغفر له بعد موته » وهذا عبد الله بن عمر رضى
 الله عنهما قد سماه النبي ﷺ الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، ولا شك أن العبد
 إذا حصل له أجر مستمر بعد موته هو أولى من حصول أجر في حياته ثم ينقطع
 بالموت ، فان العبد من أحوج الناس بعد موته الى الحسنات ، وبموته قد انقطع
 عمله الا ما أخبر به الصادق المصدوق في هذا الحديث المتقدم ، فطالب الولد
 وبقائه أنفع للعبد فيما فهمت ، ولكن أولئك لما خالط قلوبهم قوة الايمان
 والتصديق بالقضاء والقدر ، والرضا به ، برزوا بالقول وقل من يصبر على تحمل
 البلى عند الحقيقة والله أعلم .

﴿ الباب الثاني ﴾

في البكاء على المصيبة وما ذكر العلماء في ذلك

البكى أصله بكوى على فعول قال الجوهري : البكاء بعد ويقصر ، فاذا مددت
 أردت الصوت الذي يكون مع البكاء ، وإن قصرت أردت الدموع وخروجها ،
 وبكى الرجل وبكىته إذا بكى عليه . قال الشاعر :

بكت عيني وحق لها بكاءها وما يغني البكاء ولا المويل

هذا من جهة اللغة ، وهو ورقة ورحمة في قلوب عباد الله ، فالبكاء على الميت
 مذهب الامام أحمد وأبي حنيفة : جوازه قبل الموت وبعده ، واختاره أبو امحق
 الشيرازي ، وكرهه الشافعي وكثير من أصحابه بعد الموت ، وخصصوا فيه قبل خروج
 الروح ، واحتجوا بحديث جابر بن عتيك ^(١) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء
 يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب ، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه ،
 فاسترجع وقال : « غلبنا عليك يا أبا الربيع » فصاح النسوة وبكين ، فجعل ابن عتيك
 يسكنهن فقال رسول الله ﷺ : « دعهن فإذا وجب فلا تبكين بأية » قالوا وما
 الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت . رواه الامام أحمد وأبو داود وهذا لفظه
 والنسائي وابن ماجه . قالوا وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله
 عنهما أن النبي ﷺ قال : « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » وهذا إنما هو بعد
 الموت ، وأما قبله فلا يسمى ميتا . وعن ابن عمر أيضا أن رسول الله ﷺ لما قدم
 من أحد ، سمع نساء من بنى عبد الاشهل على هلكاهن يبكين ، فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزة لا يواكى له » فجئن نساء الانصار فبكين على
 حمزة عنده ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويحهن إنهن هاهنا يبكين ما
 أقبلن ، مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » رواه الامام أحمد وابن
 ماجه . وهذا صريح في نسخ الاباحة المتقدمة ، والفرق بين ما قبل الموت وبعده
 أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذرا ، فإذا مات انقطع الرجاء وأبرم
 القضاء ، فلا ينفع البكاء . احتج أصحابنا ومن قال بقولهم ، فمن جوز البكاء قبل الموت
 وبعده . قال جابر بن عبد الله أصيب أبى يوم أحد فجعلت أ كشف الثوب عن وجهه
 وأبكي ، فجعلوا يهونى ورسول الله ﷺ لا ينهانى ، فجعلت عمى فاطمة تبكى فقال
 النبي ﷺ : « تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعت صوته »

(١) هو بفتح العين المهملة وكسر المثناة فوق ، خزرجى

متفق عليه . وعن ابن عمر قال : اشتكى سعد بن عباد شكاوى له ، فأتاه النبي ﷺ يعودُه مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية فقال : « قد قضى ؟ قالوا لا يا رسول الله فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال : « ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا وأشار الى لسانه أو يرحم » رواد البخارى وهذا لفظه ومسلم وعنده : وجده في غشية فقال : « قد قضى ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، الحديث . وهو من رواية يونس بن عبد الأعلى . وعن أسامة ابن زيد قال : كنا عند النبي ﷺ فارسلت اليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيًّا أو ابناً لها في الموت ، فقال للرسول : ارجع اليها فاخبرها إن الله عز وجل ما أخذ ، وله ما أعطي ، وكل شئ عنده باجل مسمى ، فمرها فلتصبر وانحتسب . فعاد الرسول فقال : انها قد أقسمت لتأتينها . قال فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عباد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وانطلقت معهم ، فرفع اليه الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة ، ففاضت عيناه ، فقال له سعد بن عباد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » رواد البخارى ومسلم * وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ قال ورسول الله ﷺ جالس على القبر ، قال : فرأيت عيناه تدمعان ، قال فقال : « هل منكم من رجل لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة أنا ، قال فانزل في قبرها » رواد البخارى * وعن أنس أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولد لى غلام فسميته باسم أبى إبراهيم فذكر الحديث ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تدرقان ، وفي لفظ فاخذه فوضعه في حجره وقال يا بنى : لا أملاك لك من الله شيئاً فقال عبد الرحمن بن عوف وأنس : يا رسول الله أتبعك وتنهى عن البكاء ؟ فقال :

« يا ابن عوف إنها رحمة ومن لا يرحم لا يرحم ، ثم اتبعهما باخرى فقال : ان العين تدمع والقلب يحزن ولا تقول الا ما يرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لحزون »
رواه البخارى ومسلم بدون زيادة الالفاظ ، وفيه دليل على البكاء قبل الموت *
وعن أنس أيضاً رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، وإن عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم لتندرفان » ثم أخذها خالد بن الوليد من غير أمره ففتح له . رواه البخارى * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ فبكت النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال : مهلا يا عمر ثم إيا كن ونعيق الشيطان . ثم قال : « انه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان » رواه الامام أحمد * وعن عائشة رضى الله عنها ان سعد ابن معاذ لما مات حضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما قالت : فوالذى نفسى بيده إني لأعرف بكاء أبى بكر من بكاء عمر وأنا فى حجرى . رواه الامام أحمد . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى جنازة ، فرأى عمر امرأة فصاح بها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « دعها يا عمر فان العين دامعة والنفس مصابة والعهد قريب » رواه ابن ماجه * وعن أسماء بنت يزيد قالت : لما توفى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إما أبو بكر وإما عمر ؟ أنت أحق من عظم الله حقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تدمع العين ويحزن القلب ولا تقول ما يسيخط الرب لولا انه وعد صادق ، وموعود جامع وان الآخر تابع الاول لوجدنا عليك يا ابراهيم أفضل ما وجدنا وإنا بك لحزونون » رواه ابن ماجه . وفى لفظ اتبكي أو ما نهيتنا عن البكاء ؟ قال : « ليس عن البكاء نهيت ولكن نهيت عن صوتين أحققن فاجرين ،

صوت عند نعمة هو ولعب ورنة شيطان، وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب ورنة شيطان، وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم، يا ابراهيم لولا انه أمر حق، ووعد صادق وسبيل لا بد نأتيه، وإن آخرنا سوف يلحق بأولنا لحزننا عليك حزنا هو أشد من هذا وإنا بك لمحزونون » وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماتت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال : « مهلا يا عمر ثم قال ابكين وإيا كن ونعيق الشيطان، ثم انه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل » وذكر تمام الحديث وقد تقدم. وروى الامام أحمد أيضاً بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « الحق سلفنا الخبير عثمان بن مظعون ». وبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : « دعهن يبكين وإيا كن ونعيق الشيطان » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان » وقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عين فاطمة بشوبه رحمة لها، فقد ثبت في حديث موت زينب ورقية بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء بعد الموت، وقد جاء في آ نارجة أنه صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله. وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قبل عثمان بن مظعون حتى سالت دموعه على وجهه. وتقدم قصة جعفر وعبد الله بن رواحة وأصحابهما، وكذلك صح عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قبل النبي ﷺ وهو ميت وبكى وأبكى، وكذلك بكى على النبي ﷺ. فهذه الاحاديث كلها دالة على جواز البكاء قبل الموت وبعده من غير كراهة، وما ذكره أصحاب الشافعى ومن قال بقولهم من

الكراهة بعد الموت مستدلين بما تقدم من أحاديث النهي فكلها محمولة على البكاء الذي معه نذب ونياحة . ويؤيد ذلك ما يأتي ذكره : إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ، وفي لفظ يعذب بما نصح عليه * وأما من ادعى النسخ في حديث حمزة فلا يصح أن معناه لا تبكين على هالك بعد اليوم من قتلى أحد . ويدل على ذلك أن نصوص الاباحة أكثرها متأخرة عن غزوة أحد ، منها حديث أبي هريرة لأن إسلامه وصحبته كانا في السنة السابعة ، ومنها البكاء على جعفر وأصحابه وكان استشهادهم في السنة الثامنة ، وكذلك البكاء على زينب بنت رسول الله ﷺ كان في الثامنة أيضاً ، والبكاء على قبر أمه ﷺ كان عام الفتح ، وأما قولهم إنما جاز البكاء قبل الموت حذراً بخلاف ما بعد الموت . جوابه : إن الباكي قبل الموت يبكي حزناً وحزنه بعد الموت أشد لأنه قبل الموت ربما يرتجى وبعده قد فقدت الرجوى فبكي لفراق لا عودة بعده في الدنيا . وهذا معنى قوله ﷺ : « إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا تقول ما يسخط الرب » ومنها قال البخاري قال عمر : دعهم يبكين على أبي سلمان ما لم يكن تقع أو اقلقة . والنقع التراب على الرأس والقلقة الصوت . حدثنا اسحق بن منصور عن أبي رجاء عبد الله بن واقد عن محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال : كنا مع النبي ﷺ في جنازة ، فلما انتهينا إلى القبر فاستندرت فاستقبلته فإذا هو يبكي حتى بل الثرى . ثم قال : اخواني لمثل هذا اليوم فاعدوا . رواه الامام أحمد

❦ فصل ❦

وقد ذكر بعض العلماء إن البكاء الذي روى عن النبي ﷺ أنه فعله وأباحه أو أمر به للاستحباب هو البكي الذي هو دمع العين ورقة القلب ورحمته ، والذي نهى النبي ﷺ عنه هو البكاء بالمد الذي يستلزم الصراخ والندب والمويل . يشهد لهذا قوله : ما كان من العين والقلب فن الله عز وجل ، وما كان من اليد واللسان

فمن الشيطان ، ونهى عن رنة الشيطان وهو رفع الصوت عند المصيبة . قلت : هذا وإن كان حسناً يعكر عليه ما حكيناه عن الجوهري : إن البكاء يمد ويقصر فهو لغتان فلا فرق فيه بين المد والقصر والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

وليحذر العبد كل الحذر أن يتكلم في حال مصيبتة وبكائه بشئ يحبط به أجره ، ويسخط به ربه ، مما يشبه التظلم فإن الله تعالى عدل لا يجور ، وعالم لا يضل ولا يجهل ، وحكيم أفعاله كلها حكم ومصلح ، ما يفعل شيئاً إلا لحكمة ، فانه سبحانه له ما أعطى وله ما أخذ ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو الفعال لما يريد القادر على ما يشاء له الخلق والأمر * بل إنما يتكلم بكلام يرضى به ربه ، ويكثر به أجره ، ويرفع الله به قدره * وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده قال : حدثني يونس بن محمد المكي قال : زرع رجل من أهل الطائف زرعاً ، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق ، فدخلنا عليه لنسليه عنه ، فبكى . وقال : والله ما عليه أبكى ولكن سمعت الله تعالى يقول : (كثر ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) . فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذي أبكاني * قال أبو العرب : لما أمر عبد الله بن زياد بالبلجاء أن يمثل بها ، جاؤا معهم الحديد والحبال ، فقالت : اليكم أتكم بكلام يحفظه عني من سمعه قال : فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت : هذا آخر يومى من الدنيا وهو غير مأسوف عليه ، وأرجو أن يكون أول أيامى من الآخرة وهو اليوم المرغوب فيه ، ثم قالت : والله إن علمى بفنائها هو الذى زهدنى فى البقاء فيها ، وسهل على بلوائها فما أحب تعجيل ما أخر الله ، ولا تأخير ما عجل الله ، والحمد لله على السراء والضراء وعلى العافية وعلى البلاء ، ثم قالت : كنت أومل فى الله ما هو أكثر من هذا . قال ثم انهم قطعوا يديها ورجليها ، فجعل الدم لا يرقأ ، فقالت : حياة كريمة وميتة طيبة لأنى نلت ما أملت يا نفس من جزيل

نواب الله فقد نلت سروراً دائماً لا يضرك معه كدر ، وهى حين قطعوا يديها
ورجليها فلم تتكلم ، فقيل لها ذلك فقالت : شغلنى هول المطلاع عن ألم حديدكم
هذا ، ثم أتوا بالنار لتكوى بها فلما رأتها صرخت ، فقيل لها لقطع اليدين والرجلين
لم تنطقي ، فلما رأيت النار صرختي ؟ فقالت : والله ليس من ناركم صرخت ولا على
دنياكم أسفت ، ولكننى ذكرت بها النار الكبرى فكان الذى رأيتم من ذلك .
قال فأمر بها فسملت عيناها ، فقالت : اللهم قد طال فى الدنيا حزنى فأقر فى الآخرة
عينى . ثم قالت : لئن كنت على بصيرة من أمرى إن هذا القليل فى جنب ما أطلب
من نواب الله . قال فما تكلمت بغيرها حتى ماتت رحمها الله تعالى . وكانت البلجاء
من شيعة على رضى الله عنه ، وكان قد بلغ الحسن بن على أن ابن زياد يقتبع
شيعة على فيقتلهم . فقال : اللهم اقتله وأمه حتمف أنفه . والاسناد ، قال أبو العرب :
حدثنا عبد الله بن الوليد عن جابر بن خدّاش بن عجلان ثنا سالم بن عمير عن سالم
الهلالى فذكره .

وليحذر العبد أيضاً أن يدعو على نفسه ، فإن النبى صلّى الله عليه وآله قال لما مات
أبو سلمة قال : « لا تدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما
تقولون » . وليعلم أيضاً أن البكاء يضر الحى والميت ، فإن الحى يخاف على عينيه
كما قال الله تعالى فى قصة يعقوب عليه السلام : « وابيضت عيناه من الحزن » والميت
لا يستريح به * فقد ذكر الحافظ أبو شجاع شيرويه الديلمى باسناداه عن على بن
الحسين قال : بينا داود الطائى جالسا مع أصحابه يوماً إذ غفا وهو معهم ثم انتبه
فقال : أتدرون ما رأيتم فى نوبة هذه ؟ دخلت الجنة فرأيت فيها صبيا نايلهون
بالتفاح يناول بعضهم بعضاً ، وصبى ناحية عنهم جالس حزين يرى الانكسار عليه
بين ، فقلت ما بال ذلك الصبى لا يلهموكم كما تلهون ؟ قالوا : ذاك حديث عهد
بالدنيا وأمه تكثر البكاء عليه فانكساره لكثرة بكاء أمه عليه ، قال فقلت : إن

منزلهم ؟ قالوا فى قبيلة آل فلان قال : فقلت من أبويه قالوا فلان وفلانة قلت فما اسمه ؟ قالوا فلان . فقال داود لأصحابه فانطلقوا قال فانطلقوا فاتوا القبيل فسألوا عن أبويه فلقبهما أو لقي أحدهما فقال لهما مارأى فى منامه ، فجعلت الأم على نفسها أن لا تبكى عليه أبداً *

* (فصل) *

والبكاء والأسف على من فرط فى جنب الله أو من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً . وهو داخل تحت المشيئة وعنده من الندامة كامثال الجبال ومن الحسرات كمدد الرمال ، فان الصحة لا يعرف مقدارها على الحقيقة الا المرضى كما ان العافية لا يعرف مقدارها الا المبتلى ، فكذلك الحياة لا يعرف مقدارها الا الموتى ، لأنهم قد ظهرت لهم الامور ، وانكشفت لهم الحقائق ، وعلموا مقدار الاعمال الصالحة اذ ليس ينفع هناك الا عمل زكى ، ولا يرتفع هناك الا عبد تقى ، فالمتقصر يود لو أنه رد فاستدرك ما فات ، ونظر فيما فيه فرط ، والمهمل العمل بالجملة يكون تمنيه الرجوع أكثر . وحرصه على العودة أشد ، فالواجب اغتنام الصحة والفراغ المغبون فيهما كثير من الناس ، وإنما يحصل للشخص الحزن والبكاء على من أصيب به لذهوله عما بين يديه من منكرات الموت وغصصه ، والافراد فى القبر وحيداً ذليلاً مستوحشاً ، ثم مسائلة منكر ونكير عليهما السلام ، وطول مكثه تحت الثرى إما منعماً وإما معذباً ، ثم من بعد ذلك خروجه من قبره وقيامه لرب العالمين ، ثم وقوفه الطويل فى المحشر وما يرى من أهوال يوم القيامة ، ثم حسابه بين يدى الله تعالى ووزن أعماله وتطابر الصحف والمحاسبة على مثاقيل الذر ، وأنه وجد ما عمل محصياً عليه محرراً فى كتاب لا يغارد صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وانه بين رجاء وخوف إما لذات اليمين أو لذات الشمال ، فلو استشعر المصاب هذه المصائب العظيمة التى بين يديه وهو غافل عنها ، غير مستعد لها ، لشغلته عن مصابه بأحبابه ، ولرجع

الى الصبر والرضا بما قدره وأمضاه ، فان قدر على نفع نفع ميتة به ، والا فلا يؤذيه
بما نهى الشرع عنه من الذنب والنيابة ولطم الحدود وشق الجيوب ، وغير ذلك من
الافعال والاقوال المسكروهة التي ذمها السلف والخلف كما سنبينه بعد ان شاء الله ،
نسأل الله تعالى العافية في الدنيا والآخرة *

﴿ فصل ﴾

والحزن لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ، لا في المصيبة ولا في غيرها ، بل قد
نهى الله عنه في كتابه وإن تعلق بأمر الدين ، لكن منه محمود ومذموم . كقوله
تعالى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون » وقوله : « ولا تحزن عليهم » وقوله
تعالى في حق نبيه محمد ﷺ وأبي بكر : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا »
وقوله تعالى : « فلا يحزنك قولهم » الآية . ونحو ذلك من الآيات كثيرة في القرآن .
وما ذاك الا لأن الحزن لا يجلب منفعة ، ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه ، وما لا فائدة
فيه لا يأمر الله به ، لكن لا يأثم به صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم ، كما تقدم
ذكره من قول أو فعل كما قال النبي ﷺ : « إن الله لا يؤاخذ بدمع العين ولا
بحزن القلب ولكن يؤاخذ بهما - وأشار بيده الى لسانه - أو برحم » فدل على أنه
لا يأثم إلا اذا اقترن به ما يجلب الاثم ويؤيده أيضا قوله ﷺ : « تدمع العين
ويحزن القلب ولا تقول الا ما يرضى الرب » قال مالك بن دينار : القلب اذا لم يكن
فيه حزن خرب ، كما أن البيت اذا لم يسكن خرب . وقال عبد الله بن احمد :
حدثني علي بن مسلم ثنا بشار ثنا جعفر ثنا ابراهيم بن عيسى . قال : ما رأيت أطول
حزنا من الحسن وما رأيت به الا حسبه حديث عهد بمصيبة . ثم ذكر بسند عن
مالك قال : بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك . ومنه قوله
تعالى : « وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن » فكل هذه الأدلة
تدل على أنه لا يأثم به صاحبه ، فالبكاء والحزن على الميت على وجه الرحمة والرقعة

حسن ، ولا يتناقى الرضا والصبر بخلاف البكاء عليه والحزن لفوت حظ الحى منه ،
 فاذا اقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة
 لا من جهة الحزن . فالحزين على مصيبة فى دينه ، وعلى مصائب المسلمين عموما ،
 فهذا يثاب على ما فى قلبه من حب الخير وبغض الشر ، وتوابع ذلك . ولكن الحزن
 على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد ، وجلب منفعة ودفع مضرة
 نهى عنه ، وكان حسب صاحبه الأثم عنه من جهة الحزن ، وأما إن أفضى الى ضعف
 القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله كان مذموما عليه من تلك الجهة ،
 وإن كان محمودا من جهة أخرى . فانه إن كان المحزون عليه لا يمكن استدراكه
 لم ينفع الحزن . فالعاقل يدفعه عن نفسه ولا يضم الى مصيبته أخرى . وليعلم أنه
 سيدلو بعد حين والله أعلم *

﴿ الباب الثالث فى تحريم النذب والنياحة وشق الثياب ﴾

النذب اسم للبكاء على الميت وتعداد محاسنه ، قاله الجوهري ، والاسم الندبة
 بالضم ، وقيل تعداد شمائل الميت فيقال : واكرىماه واجبلاه والهفاء . والنوح قال
 القاضى عياض : هو اجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات ، وذكر فى المغنى أنه
 تعداد محاسن الميت بلفظ النداء ، إلا أنه يكون بلفظ الواو وربما زيد فيه الالف
 والهاء مثل قولهم : وارجلاه واجبلاده وانقطع ظهراه ونحوه . وقال غيره : قال أهل
 اللغة النياحة اسم لاجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات كما ذكر القاضى عياض
 والتناوح التقابل ، ثم استعمل فى صفة بكأتهن بصوت ورنه وندبة . واعلم رحمك الله
 أن المطلوب فى المصيبة السكون والصبر ، والرضاء بقضاء الله تعالى ، والحمد
 والاسترجاع والصدقة عن المصاب به والدعاء له ، وأما النذب والنياحة وشق